رسالة

الكلام المنتقى

مما يتعلق بكلمة التقوى

لا إله إلا الله

تأليف

العلامة الشيخ سعيد بن حجي الحنبلي النجدي
رحمه الله وعفا عنه آمين

صححها وعلق عليها بعض الحواشي

السيد محمد رشيد رضا
منشئ مجلة المنار

مطبعة المنار بمصر

سنة ١٣٤٩

رسالة

الكلام المنتقى

مما يتعلق بكلمة التقوى

لا إله إلا الله

تأليف

العلامة الشيخ سعيد بن حجي الحنبلي النجدي
رحمه الله وعفا عنه آمين

صححها وعلق عليها بعض الحواشي

السيد محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار

مطبعة المنار بمصر

سنة ١٣٤٩

١٩٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

(رب عونك)

إلى الاخ الشيخ محمد بن أحمد الحفظي حفظه الله من الآفات ، وجنبه الشرك والبدع المضلات ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(أما بعد) فوصل الكتاب ، وفهمنا مضمون الخطاب ، وهو قولكم : الشوق إلى الاطلاع على فوائدكم ، وما تنتجه القريحة من عوائدكم ، وهمنا عشرة افصاص في كلمة الاخلاص ، أفيدونا بالكلام عليها وهي هذه : لفظها ، معناها ، حقها ، حقيقتها ، حكمها ، لازمها ، فائدتها ، مقتضاها ، نواقضها ، متماتها . اهـ ملخص جوابكم

﴿ فالجواب وبالله التوفيق ﴾ قولكم « همنا » يشعر ان العشرة لديكم افصاص ، لو قلت الفحاص ، أي أبحاث لكان أنسب للمقام (١) وكلمة الاخلاص هي لا إله الا الله ، فأمرها عظيم ، وخطبها جسيم ،

« ١ » الفص يجمع على فصوص والفحص مصدر الاصل فيه ألا يجمع إلا باعتبار أفراده وفص الخاتم قلبه الذي ينقش فيه الاسم وفصوص المظام مفاصلها . قال في أساس البلاغة : وفلان حزاز الفصوص ، إذا كان مصيبا في رأيه ، وآتيك بالامر من فصه ، أي من محزه وأصله . وقرأت في فص الكتاب كذا . ومنه نصوص الاخبار اهـ فاستعمال الفصوص في مسائل كلمة التوحيد أفصح من استعمال الافحاص أو الفحوص

أعلاها مثمر، وأسفلها مغدق ، وهي كلمة التقوى . قال الله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى)قال ابن عباس وأكثر المفسرين: كلمة التقوى «لا إله الا الله» وقال عطاء الخراساني: هي لا اله الا الله محمد رسول الله . اه من البغوي ، وقال البيضاوي وغيره : أضاف الكلمة إلى التقوى لانها سببها ، أو كلمة اهلها اه

وأصل التقوى اتخاذ وقاية تقيه مما يخافه ويحذره. فتقوى العبد لله أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من غضبه وقاية تقيه منه ، وهي امتثال أوامره ، واجتناب زواجره

وقولكم : أفيدونا بالكلام عنها . فلستُ أهلا لذلك ، لان علمي لم يصل الى ذلك ، وتسمع بالمعيدي خير من ان تراه، لكن مالا يدرك كله لايترك كله

ونذكر قبل الشروع في المرام ، مقدمة في فضل العلم لتكون له كالتمام: وقد ورد في فضل العلم آيات كثيرة ،وأخبار صحيحة شهيرة، وله آداب وشروط ، من أهمها الاخلاص لله تعالى في طلبه

قال الامام عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي في شرحه على الاربعين النووية المسمى (جامع العلوم والحكم)وقد ورد الوعيد على تعلم العلم لغير وجه الله تعالى كما خرج الامام احمد وأبو داود وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال

« من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى (*) لا يتعلمه الا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة(١) يوم القيامة » وخرج الترمذي من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو يجاري به العلماء، أو ليصرف به وجوه الناس اليه، أدخله الله النار » وخرجه ابن ماجه بمعناه. وجاء من حديث جابر «لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولا لتماروا به السفهاء، ولا لتتخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار » اه

وقال الشهاب احمد بن حجر الهيتمي(٢) في شرح الاربعين النووية عند قوله ﷺ « فانما اهلك الذين من قبلكم(٣) » الحديث: إن كثرة السؤال من غير ضرورة مشعر بالتعنت او مفض اليه وهو حرام. وقد نهى الشارع عن قيل وقال وكثرة السؤال اه

وقال في الاحياء: حقيقة الاخلاص ان كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فاذا صفا عن شوبه وتخلص عنه يسمى خالصاً، ويسمى الفعل المخلص المصفى، والتصفية اخلاصاً، قال الله تعالى (من بين فرث ودم لبنا

(*) اي من العلوم الدينية وخرج بهذا القيد العلوم المعاشية من فنون الصناعة والزراعة والتجارة وغيرها فهذه تتعلم لاجل عرض الدنيا لا للتعبد فلا يدخل متعلمها في هذا الوعيد بل هو ماجور عليها لانها من فروض الكفايات

« ١ » عرف الجنة - بفتح العين المهملة وسكون الراء - ريح الجنة

« ٢ » في الاصل العسقلاني وهو سبق قلم (٣) تتمته « كثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم »

خالصا) فاذا خلص الفعل عن الرياء كان لله خالصا اه

وقال ابن القيم رحمه الله : من الناس من يحرّم العلم لعدم حسن السؤال إما انه لايسأل، او يسأل عن شيء وغيره أهم منه .

وقال سلمان لحذيفة: ان العلم كثير، والعمر قصير، فخذ من العلم ماتحتاج اليه في أمر دينك ودع ما سواه

(رجعنا الى الجواب)

﴿ أما لفظها ﴾ فقال في المختصرة المسماة (فاكهة القلوب والافواه، في تحقيق مايتعلق بلا إله الا الله ، محمد رسول الله) المنتخبة من شرح محمد بن يوسف السنوسي :

فصل

في ضبط هذه الكلمة

فينبغي للذاكر أن لايمد الف [لا] جداً ، وأن يقطع الهمزة من إله ، اذ كثيراً مايلحن بعض الناس فيردها ياء ، وكذلك يفصح بالهمزة من (إلا) ويشدد اللام بعدها، اذ كثيراً مايلحن بعضهم فيرد الهمزة ايضاً ياء ويخفف اللام ، وأما كلمة الجلالة والتعظيم التي بعد «الا» فلا يخلو اما ان يقف عليها الذاكر أو لا، فان وقف تعين عليه السكون. وان وصلها بشيء آخر كأن يقول لا اله الا اللهُ وحده لاشريك له ، فله فيها وجهان : الرفع وهو الارجح ، والنصب وهو مرجوح

وقد ذكر اهل التجويد في اسم الله تعالى : المحافظة على ترقيق

ألفه، وان لا يزيد فيها على مقدار المد الطبيعي، وترقق لام (الله) اذا كسرت او كسر ماقبلها وقد اجمعوا على تفخيمها بعد فتحة او ضمة

فصل

(في اعراب هذه الكلمة)

قد احتوت على صدر وعجز، فعجزها ظاهر الاعراب، إذ هو جملة من مبتدأ وخبر ومضاف اليه، وأما صدرها « فلا » فيه نافية (وإله) مبني معها لتضمنه معنى « من » إذ التقدير لا من إله، ولهذا كانت نصاً في العموم، كأنه قد نفى كل إله غيره عز وجل من مبدأ ما يقدر منها إلى مالا نهاية له، بني الاسم معها للتركيب، وذهب الزجاج إلى ان اسمها معرب منصوب بها، واذا فرعنا على المشهور من البناء فموضع الاسم نصب بلا العاملة عمل إن، وقال الاخفش: لا هي العاملة فيه

ونقل السنوسي كلاما قال: قال أهل العلم: إن الاسم المعظم في هذا التركيب يرفع، وهو الكثير ولم يأت في القرآن غيره، وقد ينصب، فالرفع بالبدلية او على الخبرية، فالقول بالبدلية هو المشهور، وهو رأي ابن مالك، ثم الاقرب ان يكون البدل من الضمير المستتر في الخبر المقدر، أما القول بالخبرية في الاسم المعظم فقد قال به جماعة..

ومن البسيط الوافي: (لا إله إلا الله) الاصل فيه: الله إله، فلما أريد قصر الخبر على المبتدأ، وهو من قصر الصفة على الموصوف، قدم الخبر فاقترن بالا لان المقصور عليه هو الذي يلي إلا، والمقصور هو الواقع في سياق النفي

ومن القواعد ان المبتدأ اذا اقترن بالا وجب تقديم الخبر

والله مرفوع على انه بدل من اسم (لا) حملا على محله البعيد الذي هو الرفع بالابتداء الحاصل بالتحويل اليه بعد التقديم وقبل اعتبار النسخ، والتقدير: لا إله موجود في الوجود إلا الله، وهذا هو التقدير المشهور (١)

فصل

﴿ في معنى كلمة التوحيد ﴾

وأما معنى هذه الكلمة فلا تتسع له هذه الرسالة، لكن لا نخل ببعضه والله المستعان.

فلا شك انها محتوية على نفي واثبات، فالمنفي كل فرد من أفراد حقيقة الاله غير مولانا عز وجل، والمثبت من تلك الحقيقة فرد واحد، وهو مولانا عز وجل، وأتى بالا لقصر حقيقة الاله على الله تعالى، وهو الواجب الوجود المستحق للعبادة، المعبود بحق، وهو الخالق المستغني عن كل ما سواه، المفتقر اليه كل من عداه. انتهى

«١» وقال بعضهم: لا معبود ممكن الا الله، لان نفي الامكان يقتضي نفي الوجود ولا عكس، وأصح منهما ماترى في الفصل الآتي والتحقيق ان جملتها خبر يراد به لازمه وهو البراءة من عبادة غيره تعالى واخلاص العبادة له وحده، كـكلمة «لا حكم الا لله» المراد بها انما نرد كل حكم غير حكمه وندين بحكمه وحده. لا ان معناها انه لا يوجد غير حكمه

كلام صاحب فاكهة القلوب ملخصا(١)

«١» ماقاله السنوسي هنا هو التفسير الصحيح للـكلمة الجليلة ، واما قوله في الصغرى : ان معناها لامستغني عن كل ماسواه الخ فغلط في تفسير كلمة الاله بالمستغني عن غيره المفتقر اليـه غيره ، فانما معناه المعبود بالحق أو بالباطل .والمعبود بالباطل كثير وهو ما نفته الـكلمة والمعبود بالحق واحد وهو ماأثبتته ، ولو كان معناها لامستغني الخ لما أنكرها مشركو العرب وامتنعوا من الاقرار بها فقد كانوا يؤمنون بان الرب الخالق المدبر لامور الخلق واحد وانه مستغن عن كل ماسواه مفتقر اليه كل ماعداه (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ويقولون (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فعبـادتهم لآلهتهم هي عين عبادة كثير من المسلمين القبوريين للصالحين التي سماها لهم المضلون من سدنة القبور وأكلة النذور بالتوسل بل عبدة القبور أعرق في الشرك من عبدة اللات والعزى لان الله تعالى شهد في كتابه لهؤلاء المشركين بأنهم كانوا يدعونه وحده في الشدائد كخوف الغرق ويشركون به بدعاء غيره في وقت الرخاء وانا لنرى بأعيننا ونسمع بآذاننا من عباد الصالحين ان أحدهم اذا اشتد به الكرب يجأر مستغيثا متضرعا : ياسيدي يابدوي ،أو يامتبولي ،أو يابوسريع الخ ويزعم السدنة ان هذا لاينافي التوحيد لانه واقع من المسلمين الذين ينطقون بكلمة التوحيد ويدحض زعمهم أن النطق بها بدون فهم معناها والعمل بمقتضاها وأهمه التوجه لله وحده في الدعاء ولاسيما في الشدائد — وبدون ترك الاتيان بما ينافيها وهو دعاء غيره معه ـ لايفيد ككل قول ينقضه العمل

ومنه قال العماد ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله) الآية : هذا الخطاب يعم أهل الكتاب ومن جرى مجراهم ، والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال ههنا ، ثم وصفها بقوله (سواء بيننا وبينكم) أي عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها ، ثم فسرها بقوله (ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) لا وثناً ولا صليبا ، ولا صنماً ولا طاغوتا ، ولا ناراً ، ولا نبيا ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له ، وهذه دعوة جميع الرسل . ثم قال تعالى (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله) قال ابن جرير : يعني يطيع بعضنا بعضا في معصية الله ، وقال عكرمة : يعني يسجد بعضنا لبعض (١) انتهى ملخصا

فقد علمت ان معنى لا إله إلا الله أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، و «شيئا» أنكر النكرات ، وأن لا يطيع بعضنا بعضا في معصية الله

---

(١) هذان القولان بعض ما تدل عليه الآية ذكرا على سبيل التمثيل لا الاحاطة . وأصحهما الاول وهو مثال لقبول التشريع الديني من غير الله الذي فسر النبي ﷺ به قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) فكل من تعبد بقول أحد من البشر أو بتحريم ما حرمه بغير نص من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ فقد اتخذه ربا من دون الله كما صرح به الفخر الرازي في تفسيره للآية وغيره. وترى تفصيله فى تفسيرها من الجزء العاشر من تفسير المنار (ص ٣٦٣)

ومنه قوله تعالى (ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أُكُلها كل حين باذن ربها) الآية ، فالكلمة الطيبة كلمة التوحيد ، أصلها تصديق بالجنان ، وفرعها اقرار باللسان ، وأكُلُها عمل بالاركان. انتهى من تفسير الحنفي(١)

وفي تفسير البغوي (كلمة طيبة) لا إله إلا الله. انتهى ثم ذكر نحو ما تقدم

***

ومنه الكفر بعبادة غير الله وتوحيده ، قال العماد ابن كثير في تفسير قوله تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله) الآية ، اي من خلع الانداد والاوثان وما يدعو اليه الشيطان من عبادة كل مايعبد من دون الله ، ووحد الله ، فعبده وحده ، وشهد أن لا إله إلا هو (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اي فقد ثبت على الصراط المستقيم . قال مجاهد (فقد استمسك بالعروة الوثقى) يعني الايمان ، وقال سعيد ابن جبير والضحاك : يعني لا إله إلا الله . انتهى ملخصا

ومنه قوله تعالى (وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني) الآية ، أي بريء من عبادتكم الا الذي فطرني ، لأنهم كانوا يعبدون الله والأوثان ، أو إني بريء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني ، انتهى ملخصاً من البيضاوي

***

(١) يعني النسفي

ومنه قوله ﷺ «من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل » رواه البخاري

وقال الشيخ ابو علي امام اهل نجد في زمانه محمد بن عبدالوهاب في معنى لاإله إلا الله في (كتاب التوحيد) شيئاً عجيباً ، قال(باب تفسير التوحيد وشهادة أن لاإله إلا الله) الى أن قال : وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الابواب فليراجع

***

ومنه قوله رحمه الله في نبذة تسمى(كشف الشبهات) اذا تحققت ان التوحيد الذي دعت اليه الرسل وأبى عن الاقرار به المشركون هو التوحيد في العبادة ،وهو معنى قولك لا إله إلا الله ،فان الإله عندهم هو الذي يقصد لاجل هذه الامور سواء كان ملكا او نبياً او وليا او شجرة او قبراً او جنياً، لم يريدوا ان الاله هو الخالق الرزاق ، فانهم يعلمون ان ذلك هو الله وحده ، وانما يعنون بالاله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد، فأتاهم رسول الله ﷺ يدعوهم الى كلمة التوحيد « لاإله إلا الله » والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ، والكفار الجهال يعلمون ان مراد النبي ﷺ هو افراد الرب بالتعلق ، والكفر بما يعبد من دونه، والبراءة منهم . فانه لما قال لهم « قولوا لاإله إلا الله قالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا)الآية » انتهى كلامه رحمه الله

(فرعان)

(الاول) في تعريف الاله ، قال الامام البيضاوي في تفسيره: الله؛ أصله إلٰه، فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام: ولذلك قيل ياألله بالقطع ؛ إلا أنه مختص بالمعبود بالحق، والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق، واشتقاقه من أله إلاهة وألوهة وألوهية ، بمعنى عبد ، وقيل من أله اذا تحير، اذ العقول تتحير في معرفته، او من ألهت الى فلان اي سكنت اليه، لأن القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته ، أو من أله الفصيل اذا ولع بأمه، اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد، وقيل إنه علم لذاته العلية لانه يوصف ولا يوصف به ، والا ظهر انه وصف في اصله، لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره صار له كالعلم، انتهى كلام البيضاوي ملخصا ، وذكر العماد ابن كثير القولين

(تنبيه)

انظر الى قول البيضاوي المتقدم ، والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بحق ، وقوله والا ظهر انه وصف في اصله الى آخره ، وقول صاحب الفاكهة المتقدم، وهو من قصر الصفة على الموصوف، وقول أهل اللغة أله يأله من باب تعب إلاهة بمعنى عبد عبادة، وتأله تعبد، والاله المعبود ، وهو الله سبحانه ثم استعاره المشركون لما عبدوا من دونه، وإلٰه على فعال بمعنى مفعول، لأنه مألوه أي معبود، ككتاب بمعنى مكتوب، وامام بمعنى مؤتم به. انتهى من المصباح

وانظر أيضا إلى قول الشيخ محمد المتقدم وهو قوله: فان الاله عندهم هو الذي يقصد ـ الى آخره ، وقال تعالى (ومن يدع مع الله إلها آخر) الآية قال البيضاوي: يعبده افراداً واشراكا ، انتهى فسمى المعبود الها

وعن ابي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذات انواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله ﷺ « الله أكبر ، انها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ، لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة (١) رواه الترمذي في جامعه. فتأمل هذا الحديث وقصة بني اسرائيل المشار اليها تجدها مصرحة بما ذكرنا

اذا ثبت هذا فالمقصود ان لفظة اله اسم صفة لكل من قصد بشيء من العبادة ، كاسم القاضي لمن ولي القضاء ، والامير لمن تأمر ، والامام والمؤذن ونحو ذلك ، فكل من قصد مخلوقا بشيء من العبادة فهو إله لمن قصده ، والاله الاعظم المستحق للعبادة ، المنزه عن النقائص ، الموصوف بصفات الكمال هو الله تبارك وتعالى

وهذا بخلاف اسم الجلالة ، فانه علم على الرب تبارك وتعالى مختص به وهو المعبود بالحق ، فانه لم يسم به غيره قال الله تعالى (هل تعلم له سميا ؟)

«١» القذة ريشة السهم ، أي كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبتها وتقطع يضرب مثلا للشيئين يستويان ولا يتفاوتان

الفرع الثاني

(في تعريف العبادة)

قال العماد ابن كثير في تفسيره : العبادة في اللغة من الذلة ، يقال طريق معبد أي مذلل ، وبعير معبد أي مذلل ، وفي الشرع : عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف انتهى ،

وعبارة البيضاوي في تفسيره : العبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ، ومنه طريق معبد أي مذلل ، وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ، ولذلك لايستعمل إلا في الخضوع لله تعالى انتهى

وفي حاشية الشهاب على البيضاوي : العبادة أبلغ من العبودية التي هي اظهار التذلل ، وعرفت العبادة بانها فعل اختياري مناف للشهوات البدنية يصدر عن نية يراد بها التقرب إلى الله تعالى. انتهى ، والعبادة اسم جنس يشمل جميع أنواعها(١)

---

(١) هذا في العبادة الشرعية وكل ما تقدم من معناها اللغوي فهو من التعريف بالرسم والخواص . وأما حقيقة معناها الفطري الذي يصدق عليها عند العرب وغيرهم أنها كل تعظيم وتقرب بقول أو فعل يبعث عليه الشعور بالسلطان الغيبي الذي هو مصدر النفع ودفع الضر بذاته لا بالاسباب ، وأعظم هذه العبادة الدعاء بطلب منفعة أو دفع مضرة تعذر على الداعي نيلهما بكسبه واتخاذ الاسباب له فلجأ اليه بشعوره بذلك السلطان الخاص برب العالمين القادر على كل شيء العالم بكل شيء الذي يجير ولا يجار عليه ، والنصوص تدل على هذا ولا سيما الآيات والاحاديث الواردة في الدعاء

تنبيه

اعلم ان مبنى العبادة على الامر لتظاهر الادلة على ذلك، فمنها قوله تعالى (إن الحكم) في أمر الدين والعبادة (إلا لله) ثم بين ما حكم به فقال (أن لا تعبدوا إلا اياه، ذلك الدين القيم) الثابت الذي دلت عليه البراهين ـ الآية.
وقوله تعالى (وقضى ربك) أمر أمراً مقطوعا به (أن لا تعبدوا إلا اياه) أن مفسرة، ولا تعبدوا نهي أو بأن لا تعبدوا، انتهى من تفسير الحنفي.
وقال البغوي في تفسيره (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا اياه) أي أمر ربك قاله ابن عباس وقتادة والحسن. انتهى

وقد تقدم في حديث أبي واقد الليثي قول الصحابة: يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط، فانه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الامر.
وقد ذكر ذلك الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مسائله على التوحيد، ومنه قوله ﷺ «وما أمرتكم به فأتوا به ما استطعتم» الحديث، متفق عليه. وقال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

حق الاله عبادة بالامر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان

اذا تمّ هذا فالامر هو استدعاء الفعل بالقول، ممن هو دونه على سبيل الوجوب عند الاطلاق والتجرد عن القرينة. فيحمل عليه والله أعلم.

فصل

(في حكم كلمة التوحيد)

وأما حكمها فقال في فاكهة القلوب والافواه : اعلم أن الناس مؤمن وكافر ، فأما المؤمن بالاصالة فيجب أن يذكرها مرة في عمره وينوي بها الوجوب (١) ثم ينبغي له أن يكثر من ذكرها وليعرف معناها لينتفع بها ، وأما الكافر فذكره لهذه الكلمة واجب ، وهو شرط في صحة إيمانه القلبي مع القدرة . انتهى ملخصا

وفي حديث ابي هريرة المتفق عليه عن النبي ﷺ انه قال «امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فاذا قالوها عصموا

(١) قد قال كثير من العلماء مثل هذا في الصلاة على النبي ﷺ بناء على أن الامر في قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) للوجوب وان الامتثال يحصل بمرة واحدة . ومثل هذا التدقيق و التقييد بالاصطلاحات لم يكن يخطر ببال الصحابة ولا غيرهم من علماء السلف أولي السليقة العربية ، ولا يعقل أحد منهم ولا عاقل من غيرهم أن يوجد مسلم في العالم لا يذكر كلمة التوحيد في عمره الا مرة واحدة أو مرتين أو مراراً قليلة ، دع وجوبها في الصلاة . ولنا أن نقول ، على طريقتهم في الاستدلال ـ ان الله تعالى أمر المؤمنين أن يذكروه ذكراً كثيراً ووصفهم بكثرة الذكر قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ، ووصف المنافقين بقلة الذكر . وأفضل الذكر لا إله إلا الله ، فهي مما أمرنا بالاكثار منها أو في مقدمته — فحكمها الاكثار منها لا النطق بها مرة واحدة في العمر

مني دماءهم واموالهم الا بحقها » قال علماؤنا رحمهم الله : اذا قال الكافر لا اله إلا الله فقد شرع في العاصم لدمه ، فيجب الكف عنه، فان تمم ذلك تحققت العصمة والا بطلت ويكون النبي ﷺ قد قال كل حديث في وقت، فقال «امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله» ليعلم المسلمون ان الكافر المحارب اذا قالها كف عنه وصار ماله ودمه معصومين، ثم بين ﷺ في الحديث الآخر أن القتال ممدود الى الشهادتين والعبادتين ، فقال « امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله عز وجل » متفق عليه . فبين ان تمام العصمة انما يحصل بذلك (١)

(١) التحقيق أن المراد بالحديثين واحد وهو الدخول في الاسلام ومفتاح الدخول فيه من المشركين النطق بكلمة التوحيد، فهو يعصم صاحبه في المعركة إذ لا مجال فيها لصلاة ولا زكاة، وأما الكفار القائلون «لا إله إلا الله» فلا بد من نطق أحدهم برسالة محمد ﷺ كما سيأتي عن النووي . وذكر الصلاة والزكاة في الحديث الآخر يراد به قبول شرائع الاسلام، وركنها الديني المحض الاعظم الصلاة، وركنها المالي الزكاة فمن دان بهما دان بغيرهما ، فان فرض أنه جحد الصيام أو الحج أو غيرهما مما علم من الدين بالضرورة حكم بكفره ، وقد حققنا هذه المسألة في تفسير (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فيراجع في الجزء العاشر من تفسير المنار (١٦٨-١٨٠) وسيأتي ما يؤيد هذا

ولئلا تقع الشبهة بان مجرد الاقرار يعصم على الدوام

وقال النووي رحمه الله قوله ﷺ «امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله فمن قال لا اله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل» قال الخطابي: معلوم ان المراد بهذا اهل الاوثان دون اهل الكتاب، لانهم يقولون لا اله إلا الله، ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف. وذكر القاضي عياض رحمه الله معنى هذا، وزاد عليه واوضح فقال: اختصاص عصمة المال والنفس لمن قال لا اله الا الله تعبيرا عن الاجابة الى الايمان، وان المراد مشركو العرب واهل الاوثان ومن لا يوحد، وهم كانوا اول من دعي الى الاسلام وقوتل عليه. فاما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقوله لا اله الا الله اذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده، ولذلك جاء في الحديث الآخر «واني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة» هذا كلام القاضي (قلت) ولا بد من الايمان بما جاء به رسول الله ﷺ كما جاء في الرواية الاخرى لابي هريرة رضي الله عنه «حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به» انتهى كلام النووي، انتهى من رسالة الشيخ حمد بن ناصر الحنبلي المسماة (الفواكه العذاب، في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب)

وقال الحافظ ابن رجب في شرح الاربعين: ومن المعلوم بالضرورة ان النبي ﷺ كان يقبل من كل من جاء يريد الدخول في الاسلام

الشهادتين ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلماً وقد انكر على اسامة بن زيد قتله من قال لا اله الا الله واشتد نكيره عليه. وقال شهاب الدين احمد بن حجر على شرح الاربعين النووية نحو ذلك

والمقصود ان حكم من قال لا اله الا الله انها تعصم ماله ودمه ثم يطالب بمعناها وحقها كالكفر بعبادة غير الله وشهادة رسالة محمد ﷺ واقام الصلاة وايتاء الزكاة وسائر شرائع الاسلام. وقد تظاهرت الادلة على ذلك

فصل

(في حق كلمة التوحيد ولازمها)

واما حقها[1] فقال الحافظ ابن رجب في شرح الاربعين: على حديث ابن عمر «امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا» الخ وتقدم – فقوله ﷺ الا بحقها وفي رواية «الا بحق الاسلام» قد سبق ان

«١» قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله – في نبذة له في الحب والبغض في الله – واعلم ان قول رسول الله ﷺ «امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها» (يدل) تحقيقا على ان الصلاة من حقها والزكاة من حقها والصوم من حقها والحج من حقها. فهذا تحقيق قوله ﷺ «الا بحقها» يعني اذا اقروا بالشهادتين واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا رمضان وحجوا البيت «فقد عصموا مني دماءهم واموالهم» انتهى والله اعلم

ابابكر الصديق رضي الله عنه ادخل في هذا الحق فعل الصلاة والزكاة وان من العلماء من ادخل فيه فعل الصيام والحج ايضا. ومن حقها (أي في إباحة الدم) ارتكاب ما يبيح دم المسلم من المحرمات، وقد روى تفسير حقها بذلك خرج الطبراني وابن جرير الطبري من حديث انس عن النبي ﷺ قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » قيل وما حقها ؟ قال « زنا بعد احصان ، وكفر بعد ايمان ، وقتل نفس فيقتل بها » ويشهد لهذا ما في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله الا الله وان محمداً رسول الله الا باحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » انتهى

وقد ذكر ابن رجب في شرح هذا الحديث انه قد ورد قتل المسلم بغير هذه الثلاث ، فمنها اللواط ، ومنها من أتى ذات محرم ، ومنها الساحر ، وذكر غير ذلك .

وأما لازمها فالظاهر والله اعلم انه داخل في حكمها وحقها المتقدمين فتأملهما (١)

---

(١) اللزوم الثبوت والدوام، وفسره بعضهم بعدم الانفكاك، فلازم الشيء ما يصحبه ولا ينفك عنه في الواقع ، فلازم كلمة التوحيد ما هو أثر فطري طبعي لاعتقاد مضمونها ، وهو غير حقها وحكمها اللذان هما من وضع الشرع ، لا من تأثير الطبع. فالمؤمن الموقن بانه لا إله =

فصل

(في نواقض كلمة التوحيد ومبطلاتها[1])

وأما نواقضها فقال في المطلع على ابواب المقنع : النواقض واحدها ناقض ، وهو اسم فاعل من نقض الشيء اذا أفسده، فنواقض الوضوء مفسداته انتهى ومنه انتقض الامر بعد استقامته_ فسد

فنسأل الله الرحمن الرحيم ، اللطيف الكريم ، ان يحفظ علينا ديننا ، وان يمتعنا به ويزيد ايماننا ، وأن يدخلنا جنته برحمته ، وان يعيذنا من أليم نقمته ، انه جواد كريم ، ومجيب دعوة العباد ،

فأما نواقض «لا إله إلا الله» فعسير إحصاؤها ، ولا يكاد يطاق استقصاؤها ، وقد تقدم في معنى لا إله إلا الله وفي حكمها جمل من نواقضها فتأمله فنحيلك على باب المرتد

يعبد بحق إلا الله الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء من نفع وضر وعطاء ومنع يلزم يقينه هذا إخلاص الدعاء له وحده في كل شدة تعرض له، هذا ألصق لوازم الكلمة بصاحبها مهما يكن مسرفا على نفسه، فاذا كمل يقينه بكثرة الذكر والعبادة كان من لوازم توحيده كمال التوكل والشجاعة في الحق _ إلى غير ذلك، فأظهر لوازم كلمة التوحيد ألا يدعو صاحبها غير الله فيما هو وراء الاسباب ولا يستغيث غيره في الشدائد ولا ينذر ولا يذبح لغيره نسكا. فويل المشركين الذين يبيحون انفكاك كل هذه اللوازم عن كلمة التوحيد بدعاء غير الله الخ ويسمونه توسلا إلى الله لا شركا به

قال في الاقناع وشرحه : وهو العمدة عند متأخرى الحنابلة (باب حكم المرتد) وهو الذي يكفر بعد اسلامه نطقا أو اعتقادا أو شكا أو فعلا ، ولو كان هازلا ، واجمعوا على وجوب قتل المرتد ، فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو صفة من صفاته أو اتخذ له ـ أي لله ـ صاحبة أو ولدا كفر ، ومن ادعى النبوة أوصدق من ادعاها[1] أو جحد البعث ، أو سب الله ورسوله ، أو استهزأ بالله أو كتبه أو رسله كفر لقوله تعالى (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن؟ لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم) وقال الشيخ ابو العباس احمد بن تيمية : أو كان مبغضا لرسوله أو لما جاء به الرسول اتفاقا ، وقال أيضا : او جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم اجماعا ، اي كفر لان ذلك كفعل عابدي الاصنام قائلين (ما نعبدهم الا

«١» ممن يدعي النبوة في هذا العصر فرقة القاديانية أو الاحمدية الذين يتبعون مسيح الهند الدجال ميرزا غلام أحمد الذي ادعى انه المسيح المنتظر وانه يوحى اليه من الله ، ويزعم أتباعه الضالون ان النبوة فيهم متصلة لا تنقطع وهم مع هذا يصلون ويصومون الخ فهم كفار بدعوى النبوة ودعوى إبطال مسيحهم لفرضية الجهاد ولو بدفاع المسلمين أنفسهم تعدي الافرنج وغيرهم على بلادهم وإكراههم على اتباع قوانينهم . ويجب منع هؤلاء القائلين بنبوة القادياني وخلفائه من دخول الحرمين ولو لأداء الحج إذا عرفوا واعترفوا بدعوى النبوة ، وقول مسيحهم بسقوط فرض الجهاد ونحوهم في هذا وشر منهم (البهائية)

ليقربونا الى الله زلفى}انتهى من الاقناع وشرحه. فتأمل قوله : وهو الذي يكفر بعد اسلامه فان ظفرت بهذا الباب ، ففيه ما يكشف الحجاب

ونحيلك أيضا على كتاب (الاعلام، بقواطع الاسلام)تأليف شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي فانه ذكر فيه الالفاظ والافعال التي توقع في الكفر عند الائمة حتى انه ذكر أن العزم على الكفر كفر في الحال . ونحيلك أيضا على نبذة ألفها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وذكر في آخرها سبع قصص

(أولاهن) قصة الردة بعد وفاته ﷺ

وصورتها أن العرب افترقت في ردتها فطائفة رجعت الى عبادة الاصنام وقالوا : لو كان نبيا ما مات . وطائفة قالت نؤمن بالله ولا نصلي . وطائفة أقرت بالاسلام وصلوا ولكن منعوا الزكاة ، وطائفة شهدوا أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ولكن صدقوا مسيلمة الكذاب: ان النبي ﷺ أشركه معه في النبوة ، ولم يشك أحد من الصحابة في كفر من ذكرنا إلا مانعي الزكاة ، فناظر أبو بكر عمر فيهم ، فاقتنع عمر ، وأجمع العلماء على تصويب أبي بكر فقاتلوهم

(الثانية) قصة وقعت في زمن الخلفاء الراشدين وهي ان بقايا بني حنيفة لما رجعوا الى الاسلام وتبرؤا من مسيلمة تحملوا الى الثغر بأهليهم ، فنزلوا الكوفة، فسمع منهم كلام معناه: ان مسيلمة على حق، وهم جماعة، فجمع عبد الله بن مسعود من عنده من الصحابة فاستشارهم، فاستتاب بعضهم وقتل بعضهم . وهذه القصة في صحيح البخاري

(الثالثة) قصة أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما اعتقدوا فيه الالهية فدعاهم الى التوبة فأبوا فخدَّ لهم الاخاديد وأضرم فيها النار وقذفهم فيها وهم احياء، وأجمع الصحابة وأهل العلم على كفرهم

(القصة الرابعة) قصة المختار بن أبي عبيد الثقفي وهو رجل ظهر في العراق زمن التابعين يطالب بدم الحسين وأهل بيته فقتل عبيد الله ابن زياد قاتل الحسين واستولى على العراق، وأظهر شرائع الاسلام ونصب القضاة والأئمة من اصحاب ابن مسعود، وكان هو الذي يصلي بالناس الجمعة والجماعة، لكن في آخر امره ادعى أمورا باطلة وغلا غلوا فاحشا وزعم انه يوحى اليه، فسير اليه عبد الله بن الزبير جيشا فهزم جيشه فقتلوه. وأجمع العلماء على كفر المختار بن أبي عبيد هذا .

(الخامسة) ماوقع في زمن التابعين وهي قصة الجعد بن درهم، وكان من اشهر الناس بالعلم والعبادة، فلما جحد صفات الله ضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط يوم الاضحى وقال: يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فاني مضح بالجعد بن درهم فانه يزعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما. ثم نزل فذبحه ولم نعلم احداً من العلماء انكر عليه ذلك، بل ذكر ابن القيم في النونية اجماعهم، على استحسانه فقال :

شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من اخي قربان

ثم ذكر قصة بني عبيد الله القداح، ثم ذكر قصة التتار اهـ ملخصاً من كلام الشيخ المتقدم ذكره

وذكر القاضي عياض في كتاب الشفاء أن رجلا قال - وقد أتى مطر يسير: ابتدأ الخراز يرش سيوره - وهو قريب الملك - فلم يأمر القاضي بقتله مداراة للملك، فغضب المسلمون عليه ورفعوا أمره الى السلطان فأمر السلطان بقتل قريبه ، وأمر بعزل القاضي الذي تركه مداراة انتهى . فكل هؤلاء الذين ذكرنا لما نقضوا لا إله إلا الله جرى عليهم ما ذكرنا والله أعلم

فصل

(في بيان فضلها)

فاعلم انه لو لم يكن في بيان فضلها الا كونها علما على الايمان في الشرع لا تعصم الدماء والاموال الا بحقها ، وكون إيمان الكافر موقوفا على النطق بها، لكان كافيا للعقلاء ، كيف وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة ؟

فمنها قوله ﷺ « افضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له » رواه مالك في الموطأ ، زاد الترمذي في روايته « له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير »

وروى النسائي انه ﷺ قال « افضل الذكر لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله »

وروى الترمذي ان النبي ﷺ قال « التسبيح نصف الايمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى

تخلص اليه» وقال ﷺ « ماقال احد لا اله الا الله مخلصا من قلبه الا فتحت له ابواب السماء حتى تفضي الى العرش ما اجتنبت الكبائر »

وقال ﷺ «اتاني آت من ربي فأخبرني انه من مات يشهد أن لا إله الا الله وحده لاشريك فله الجنة» فقال له ابو ذر: وإن زنى وان سرق؟ قال وان زنى وان سرق ـ كررها ثلاثا ـ كل ذلك يقول « وان زنى وان سرق » وقال في الثالثة «على رغم أنف أبي ذر »[1]

وقال ﷺ « من دخل القبر بلا إله الا الله خلصه الله من النار »

وقال ﷺ « اسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله إلا الله خالصا من قلبه »[2] وقال ﷺ «من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة » وعنه ﷺ «لا اله الا الله مفتاح الجنة » وعنه ﷺ انه قال «من لقن عند الموت لا اله الا الله دخل الجنة »

وفي الاحياء عنه ﷺ «لو جاء قائل لا اله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا غفر له »[3] وقال « لتدخلن الجنة كلكم الا من أبى وشرد عن الله شرود البعير عن اهله» فقيل يارسول الله من يأبى ؟ قال «من لم يقل لا اله إلا الله»[4] فأكثروا من قول لا اله الا الله من قبل

١) وفي رواية وقال في الرابعة والحديث في الصحيحين

٢) وفي رواية «من قبل نفسه» رواه البخاري عن أبي هريرة

٣) قال الحافظ العراقي : غريب بهذا اللفظ يعني لم يوجد وذكر حديث الترمذي المناسب له

٤) هذا ملفق من حديث رواه البخاري والحاكم

ان يحال بينكم وبينها فانها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى ، وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق، وهي العروة الوثقى ، وهي ثمن الجنة(١) وفي الاحياء ايضاً قال تعالى (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) فقيل الاحسان في الدنيا لااله الا الله وفي الآخرة الجنة اه ملخصا من فاكهة القلوب والافواه

***

أما فائدة لاإله إلا الله فقال أهل اللغة : الفائدة ما استفدته من علم أو مال ، وما أفادت له فائدة أي حصلت : وأفدت المال استفدته .

وقال في فاكهة القلوب والافواه :

فصل

﴿في الفوائد التي تحصل لذاكر هذه الكلمة المشرفة وهي كثيرة﴾

فمنها الزهد، ونعني به خلو الباطن من الميل الى فان، وفراغ القلب من الثقة بزائل ، وإن كانت اليد معمورة بمتاع حلال فعلى سبيل العارية

ومنها التوكل، وهو ثقة القلب بالوكيل الحق بحيث يسكن عن الاضطراب عند تعذر الاسباب، ثقة بمسبب الاسباب ، ولا يقدح في توكله تلبس ظاهره بالاسباب إذا كان قلبه فارغا منها(٢)

١) هذه الجمل مجموعة من عدة روايات مسندة ومرسلة

٢) اشتغال القلب بالأسباب طبيعي وهو لا ينافي التوكل ممن يؤمن بأنها من فضل الله وتسخيره ، بحيث إذا فاته السبب لا ييأس من ربه ولا يسخط على تقديره

ومنها الحياء بتعظيم الله عز وجل بدوام ذكره والتزام امتثال أمره ونهيه ، والامساك عن الشكوى إلى العجزة

ومنها الغناء ،وهو غناء القلب بسلامته من فتن الاسباب ، فلا يعترض على الاحكام بلو ولعل لعلمه بمن صدرت عنه عز وجل

ومنها الفتوة وهي التجافي عن مطالبة الخلق بالاحسان اليه ولو أحسن اليهم، لعلمه بان احسانه واساءتهم اليه (١) كل ذلك مخلوق لله تعالى (والله خلقكم وما تعملون)

ومنها الشكر وهو إفراد القلب بالثناء على الله تعالى ورؤية النعم في طي النقم. ومنها وضع البركة في الطعام ونحوه حتى يكثر القليل ويكفي اليسير . وهذا مشاهد لاولياء الله تعالى . انتهى ملخصا

(قلت) ومنها انها تعصم الدم والمال لمن قالها إلا بحقها كما تقدم

ومنها ان من مات عليها دخل الجنة، لحديث معاذ مرفوعا « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» رواه احمد والحاكم وقال صحيح الاسناد وغيره من الاحاديث الدالة على ذلك ، وقد تقدم بعضها والله أعلم

١) هذا التعليل مبني على عقيدة الجبر الباطلة والتعليل الصحيح: ان من أحسن الى غيره امتثالا لأمر الله وطلبا لمرضاته ومثوبته لا يطلب جزاءه من غيره — وإن من كمال الايمان والاسلام عدم سؤال الناس إلا لضرورة ، وسؤال الجزاء على المعروف مخل بالمروءة ، فكيف يتفق مع الفتوة ؟

ذيل للرسالة

في تحقيق معنى الشهادتين والتحقق بهما

[قال المؤلف] ثم بعد نقل هذه الرسالة من الكتب المذكورة مع مافتح الله به سنح لي أن أذكر كلاما ذكره الامام الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن رجب المتقدم ذكره على كلمة الاخلاص يليق ذكره هنا. فانه ذكر شيئا من تحقيق لا إله إلا الله ، وتحقيق أن محمداً رسول الله، وما تقتضي لا إله إلا الله . وشيئاً من أنواع العبادة . وشيئا من الشرك ، وشيئاً من فضل لا إله إلا الله

قال رحمه الله في أثناء كلامه:

فتحققه بقول لا إله إلا الله أن لا يأله القلب غير الله : حبا ورجاء وخوفا وتوكلا واستعانة وخضوعا وانابة وطلبا

وتحققه بأن محمداً رسول الله ، أن لا يعبد الله بغير ماشرعه على لسان محمد ﷺ وقد جاء هذا المعنى مرفوعا إلى النبي ﷺ صريحا انه قال « من قال لا إله لا الله مخلصا دخل الجنة ـ قيل ما اخلاصها يارسول الله ؟ ـ قال أن تحجزك عما حرم الله عليك » وهذا يروى من حديث أنس بن مالك وزيد بن أرقم ولكن اسنادهما لا يصح . وجاء أيضا من مراسيل الحسن نحوه

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله غير الله ، والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالا ومحبة وخوفا ورجاء ، وتوكلا عليه وسؤالا منه ودعاء له ،ولا يصح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقا في شيء من هذه الامور التي من خصائص الالهية كان ذلك قدحا في اخلاصه في قول لا إله إلا الله ، ونقصاً في توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب مافيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك ، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه أو العمل لاجله، كما ورد اطلاق الشرك على الرياء ، وعلى الحلف بغير الله ، وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه ،وعلى من سوّى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثل أن يقول: ماشاء الله وشاء فلان، وكذا قوله: مالي إلا الله وأنت ،

وكذلك مايقدح في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضر كالطيرة والرقى المكروهة، وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون ،

وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله ،

ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشؤها من اتباع هوى النفس انها كفر وشرك، كقتال المسلم، ومن أتى حائضاً أو امرأة في دبرها، ومن شرب الخمر في المرة الرابعة. وان كان ذلك لا يخرج من الملة بالكلية، ولهذا قال السلف« كفر دون كفر، وشرك دون شرك»

وقد ورد اطلاق الاله على الهوى المتبع قال الله تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) قال الحسن: هو الذي لا يهوى شيئا إلا ركبه. وقال قتادة: هو الذي كلما هوى شيئا ركبه، وكلما اشتهى شيئا أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى

وروي من حديث أبي امامة مرفوعا باسناد ضعيف «ما تحت السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع» وفي حديث آخر «لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن اصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم فإذا فعلوا ذلك ردت عليهم، وقيل لهم كذبتم» ويشهد لذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش (١)» فدل هذا على أن كل من أحب شيئاً وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لاجله، وعادى لاجله فهو عبده، وذلك الشيء معبوده وإلهه

ويدل عليه أيضاً ان الله تعالى سمى طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان؟) وقال تعالى حاكياً عن خليله ابراهيم عليه السلام لأبيه (يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصياً)

(١) انتكس: انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة. وإذا شيك فلا انتقش: اذا دخلت فيه شوكة لا أخرجها من موضعها بالمنقاش

فمن لم يحقق عبودية الرحمن وطاعته فانه يعبد الشيطان بطاعته له، ولم يخلص من عبادة الشيطان ، إلا من أخلص عبودية الرحمن ، وهم الذين قال فيهم (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) فهم الذين حققوا قول لا إله الا الله وأخلصوا في قولها ، وصدقوا قولهم بفعلهم، فلم يلتفتوا إلى غير الله ، محبة ورجاء وخشية وطاعة وتوكلا ، وهم الذين صدقوا في قول لا اله الا الله وهم عباد الله حقا .

فأما من قال لا إله الا الله بلسانه ، ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب فعله قوله ، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟) (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله)

فياهذا كن عبداً لله لاعبداً للهوى ،فان الهوى يهوي بصاحبه في النار (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) «تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار » والله ماينجو غداً من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله وحده ولم يلتفت معه الى شيء من الاغيار ، من علم أن إلهه ومعبوده فرد فليفرده بالعبودية. ولا يشرك بعبادة ربه أحداً

كان بعض العارفين يتكلم على أصحابه على رأس جبل فقال في كلامه : لا ينال احد مراده حتى ينفرد فرداً بفرد. فانزعج واضطرب حتى رأى أصحابه ان الصخور قد تدكدكت وبقي على ذلك ساعات فلما أفاق فكأنه نشر من قبره

قول لا اله إلا الله ، يقتضي أن لا يحب سواه ، فان الاله هو الذي يطاع محبة وخوفا ورجاء ، ومن تمام محبته محبة ما يحبه ، وكراهة مايكرهه ، فمن أحب شيئاً مما يكرهه الله أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه في قول لا اله الا الله ، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله ، وما أحبه مما يكرهه الله ، قال تعالى (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)

قال ليث بن سعد عن مجاهد في قوله تعالى (لا يشركون بي شيئا) قال لا يحبون غيري . وفي صحيح الحاكم عن عائشة عن النبي ﷺ قال «الشرك في هذه الامة أخفى من دبيب الذرة على الصفا (١) في الليلة الظلماء وأدناه أن يحب على شيء من الجور أو يبغض على شيء من العدل»

وهل الدين الا الحب والبغض قال الله عز وجل (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)

وهذا نص في أن محبة مايكرهه الله وبغض مايحبه متابعة للهوى ، والموالاة على ذلك والمعاداة عليه من الشرك الخفي . وقال الحسن: اعلم انك ان تحب الله حتى تحب طاعته ،

وسئل ذو النون : متى أحب ربي ؟ قال إذا كان مايبغضه عندك أمر من الصبر ، وقال بشر بن السري : ليس من أعلام الحب أن تحب مايبغضه حبيبك . وقال أبو يعقوب النهرجوري :كل من ادعى محبة

(١) الذرة النملة الصغيرة: والصفا الحجر الاملس

الله ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة . وقال رويم ، المحبة الموافقة في جميع الاحوال وأنشد :

ولو قلت لي مت مت سمعاً وطاعة

وقلت لداعي الموت أهلا ومرحبا

ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) قال الحسن قال أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نحب ربنا حبا شديداً فأحب الله أن يجعل لحبه علما فأنزل الله هذه الآية

ومن هنا يعلم انه لا تتم شهادة ان لا اله الا الله الا بشهادة أن محمداً رسول الله ، فاذا علم أنه لا يتم محبة الله الا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه ، فلا طريق الى معرفة ما يحبه وما يكرهه الا من طريق الرسول ، فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله وتصديقه ومتابعته . ولهذا قرن الله بين محبته ومحبة رسوله في قوله (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم — الى قوله — أحب اليكم من الله ورسوله) كما قرن طاعته بطاعة رسوله في مواضع كثيرة . وقال ﷺ « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يرجع الى الكفر بعد ما انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار » (١)

هذه حال السحرة لما سكنت المحبة قلوبهم سمحوا ببذل نفوسهم

(١) رواه الشيخان

وقالوا لفرعون (فاقض ما أنت قاض) ومتى تمكنت المحبة في القلب، لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب، وهذا هو معنى الحديث الالهي الذي خرجه البخاري في صحيحه ، وفيه « ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » وقد قيل في بعض الروايات «فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يمشي»

والمعنى أن محبة الله إذا استغرق بها القلب ، واستولت عليه لم تنبعث الجوارح إلا إلى رضاء الرب ، وصارت النفس حينئذ مطمئنة بإرادة مولاها ، عن مرادها وهواها

ياهذا، اعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه[1] فمن عبده لمراده منه فهو ممن يعبد الله على حرف (فان أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة) ومتى قويت المعرفة والمحبة لم يرد صاحبها إلا مايريد مولاه ،

وفي بعض الكتب السابقة: من أحب الله لم يكن شيء عنده آثر

---

١) هذه فلسفة صوفية لا حكمة شرعية، والحق الجمع بين الارادتين، فمراده تعالى من عباده أن يعرفوه ويعبدوه وحده ومراد المؤمن منه رضاه وقربه وإدخاله برحمته في جنته . والذي يعبده على حرف هو المنافق الذي يقصد باسلامه وعبادته منفعة الدنيا وحدها ، وكذا مريض القلب غير المطمئن بالايمان

من رضاه ، ومن أحب الدنيا لم يكن شيء عنده آثر من هوى نفسه

وروى ابن أبي الدنيا باسناده عن الحسن قال: مانظرت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ولا نهضت على قدمي حتى أنظر على طاعة أو على معصية ، فان كانت على طاعة تقدمت ،وان كانت على معصية تأخرت . هذا حال خواص المحبين الصادقين

فافهموا رحمكم الله هذا فانه من دقائق أسرار التوحيد الغامضة وإلى هذا المقام أشار ﷺ في خطبته لما قدم المدينة حيث قال «أحبوا الله من كل قلوبكم » وقد ذكرها ابن اسحاق وغيره . فانه من امتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه فراغ لشيء من إرادة النفس والهوى ، وإلى ذلك أشار القائل بقوله:

أروح وقد ختمت على فؤادي ... بحبك أن يحل به سواكا
فلو أني استطعت غضضت طرفي ... فلم أنظر به حتى أراكا
أحبك لا ببعضي ، بل بكلي ... وإن لم يُبقِ حبك لي حراكا
وفي الاحباب مخصوص بوجد ... وآخر يدعي معه اشتراكا
إذا اشتبكت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكى

ومتى بقي للمحب حظ من نفسه فما بيده من المحبة الا الدعوى، انما المحب من يفنى عن كل هوى ويبقى بحبيبه «فبي يسمع وبي يبصر » القلب بيت الرب . وفي بعض الاسرائيليات : ما وسعني سمائي ولا أرضي وانما وسعني قلب عبدي المؤمن فمتى كان القلب فيه غير الله

فالله أغنى الاغنياء عن الشرك ، وهو لا يرضى بمزاحمة أصنام الهوى الحق غيور يغار على عبده المؤمن أن يسكن في قلبه سواه ، أو أن يكون فيه شيء لا يرضاه

أردنا كمُ صرفاً فلما مزجتمُ بعدتم بمقدار التفاتكم عنا
وقلنا لكم لا تُسكنوا القلب غيرنا فأسكنتم الاغيار ، ما أنتم منا

لا ينجو غداً إلا من لقي الله بقلب سليم ليس فيه سواه. قال الله تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) السليم هو الطاهر من أدناس المخالفات ، فأما المتلطخ بشيء من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدس إلا بعد ان يصهر في كير العذاب، فاذا زال عنه الخبث صلح حينئذ للمجاورة « إن الله طيب لا يقبل الا طيبا » فأما القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من أول الامر (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين * الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة)

من لم يحرق قلبه اليوم بنار الاسف على ما أسلف أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب فنار جهنم له أشد حراً ، ما يحتاج للتطهير بنار جهنم إلا من لم يكمل تحقيق التوحيد والقيام بحقوقه

أول من تسعر بهم النار من الموحدين العباد المراءون باعمالهم وأولهم العالم والمجاهد والمتصدق للرياء [1] لان يسير الرياء شرك .

---

١) هذا معنى حديث مرفوع في صحيح مسلم

مانظر المرائي إلى الخلق بعمله إلا لجهله بعظمة الخالق

المرائي يزوّر التوقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل لنفسه ويوهم انه من خاصة الملك وهو مايعرف الملك بالكلية

نقش المرائي على الدرهم الزائف اسم الملك ليروج ، والبهرج لايجوز إلا على غير الناقد

وبعد أهل الرياء يدخل النار أصحاب الشهوات وعبيد الهوى ، الذين أطاعوا هواهم ، وعصوا مولاهم . وأما عبيد الله حقاً فيقال لهم (ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)

جهنم تنطفي بنور إيمان الموحدين . في الحديث « تقول النار المؤمن جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبي »

وفي المسند عن جابر عن النبي ﷺ « لايبقى بر ولا فاجر الادخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاما كما كانت على ابراهيم، حتى ان للنار ضجيجاً من بردهم » هذا ميراث ورثه المحبون من حال الخليل عليه السلام

نار المحبة في قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم . قال الجنيد : قالت النار يارب لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء ؟ قال نعم كنت أسلط عليك ناري الكبرى . قالت :وهل نار أعظم مني وأشد ؟

قال نعم : نار محبتي أسكنتها قلوب أوليائي المؤمنين(١) . في الحديث « من أصبح وهمه غير الله فليس من الله » قال بعضهم من أخبرك أن وليه له هم في غيره فلا تصدقه

وكان داود الطائي يقول : همك عطل علي الهموم، وحالف بيني وبين السهاد، وشوقي إلى النظر اليك أوثق مني اللذات ، وحال بيني وبين الشهوات ، فانا في سجنك أيها الكريم مطلوب ،

مالي شغل سواه مالي شغل ... مايصرف عن هواه قلبي عذل

ما أصنع ان جفا وخاب الامل ... مني بدل ومنه مالي بدل

إخواني إذا فهمتم هذا المعنى فهمتم معنى قوله ﷺ « من شهد أن لا إله إلا الله صادقا من قلبه حرمه الله على النار » فاما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقلة صدقه في قولها ، فان هذه الكلمة إذا صدقت طهرت القلب من كل ماسوى الله ، ومتى بقي في القلب أثر سوى الله فمن قلة الصدق في قولها

من صدق في قول لاإله إلا الله لم يحب سواه ، لم يرج سواه ،

---

(١) ان صح هذا عن الجنيد فمراده منه ان نار الحب أشد حرا من جهنم بطريقة التمثيل لا الرواية وهو تمثيل أشبه بكلام جهلة الصوفية منه بكلام الامام الجنيد (رح) فعذاب نار الحب عذب يؤثره من ذاقه على كل نعيم ، ويرى الحرمان منه أشد من عذاب الجحيم

لم يخش أحداً إلا الله ، لم يتوكل إلا على الله ، لم يبق له بقية من أثر نفسه وهواه

ومع هذا فلا تظنوا أن المحب مطالب بالعصمة، وإنما هو مطالب كلما زل أن يتلافى تلك الوصمة ، قال زيد بن اسلم: ان الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه أن يقول : اذهب فاعمل ماشئت فقد غفرت لك (١) وقال الشعبي: اذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب

وتفسير هذا الكلام ان الله عز وجل له عناية بمن يحبه من عباده فكلما زلق ذلك العبد في هوة الهوى أخذ بيده الى النجاة ويسر له اسباب التوبة ، ينبهه على قبح الزلة، فيفزع الى الاعتذار ، ويبتليه بمصائب مكفرة لما جنى

في بعض الآثار يقول الله عز وجل « أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي، ان تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فانا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب ، لأطهرهم من المعايب » وفي صحيح مسلم عن جابر عن النبي ﷺ قال « الحمى تذهب الخطايا كما يذهب الكير الخبث »

وفي المسند وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مغفل ان رجلا لقي امرأة كانت بغياً في الجاهلية فجعل يلاعبها حتى بسط يده اليها ، فقالت : مه ، فان الله قد أذهب الشرك وجاء بالاسلام، فتركها وولى ،

---

(١) أخذ هذا من حديث أهل بدر الصحيح وتفسيره ما تراه بعده

فجعل يلتفت خلفه وينظر اليها ، حتى اصاب وجهه (١)
فأخبره بالأمر فقال ﷺ « انت عبد اراد الله بك خيرا » ثم قال
« ان الله اذا اراد بعبده شراً امسك عنه بذنبه حتى يوافي يوم القيامة »

يا قوم قلوبكم على أصل الطهارة وإنما اصابها رشاش من نجاسة الذنوب فرشوا عليها من دموع العيون فقد طهرت ، اعزموا على فطام النفوس عن رضاع الهوى ، فالحمية رأس الدواء ، متى طالبتكم بألوفاتها فقولوا كما قالت تلك المرأة لذلك الرجل الذي دمي وجهه قد أذهب الله الشرك وجاء بالاسلام ، والاسلام يقتضي الاستسلام والانقياد للطاعة ، ذكروها مدحة (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) لعلها تحن الى الاستقامة ، وعرفوها اطلاع من هو أقرب اليها من حبل الوريد ، لعلها تستحي من قربه ونظره (ألم يعلم بأن الله يرى * ان ربك لبالمرصاد)

راود رجل امرأة في فلاة ليلا فأبت ، فقال لها ما يرانا إلا الكواكب . فقالت فأين مكوكبها ؟

أكره رجل امرأة على نفسها وأمرها بغلق الابواب ، فغلقت ، فقال لها هل بقي باب لم تغلقيه ؟ قالت نعم ، الباب الذي بيننا وبين الله تعالى . فلم يتعرض لها

---

(١) بياض في الأصل . والمفهوم من السياق انه أصاب وجهه جدار أو نحوه فدمي . ثم ذهب الى النبي ﷺ الخ والحديث غير تام فيراجع.

رأى بعض العارفين رجلا يكلم امرأة فقال: ان الله يراكما، سترنا الله وإياكما.

سئل الجنيد عما يستعان به على غض البصر؟ قال بعلمك ان نظر الله اليك أسبق من نظرك الى ماتنظره. وقال المحاسبي المراقبة علم القلب بقرب الرب، كلما قويت المعرفة بالله قوى الحياء من قربه ونظره.

وصى النبي ﷺ رجلا «ان يستحي من الله كما يستحي من رجل من صالح عشيرته لا يفارقه» قال بعضهم استح من الله على قدر قربه منك، وخف من الله على قدر قدرته عليك

كان بعضهم يقول: لي منذ اربعين سنة ماخطوت خطوة لغير الله ولا نظرت الى شيء استحسنه حياء من الله عز وجل

كأن رقيبا منك يرعى خواطري وآخر يرعى ناظري ولساني
فما أبصرت عيناي بعدك منظرا لغيرك إلا قلت قد رمقاني
ولا بدرت من فيّ بعدك لفظة لغيرك إلا قلت قد سمعاني
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة على القلب إلا عرجت بعناني

فصل

وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن هاهنا استقصاؤها. فنذكر بعض ما ورد فيها

فهي كلمة التقوى كما قال عمر وغيره من الصحابة

وهي كلمة الاخلاص، وشهادة الحق، ودعوة الحق، وبراءة من

الشرك، ونجاة العبد، ورأس هذا الامر ، ولأجلها خلق الخلق، كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) ولاجلها ارسلت الرسل وأنزلت الكتب كما قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أن لا إله إلا انا فاعبدون) وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان انذروا أنه لا إله إلا أنا)

وهذه الآية أول ما عدد الله على عباده من النعم في سورة النعم التي تسمى سورة النحل ولهذا قال ابن عيينة : ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرفه لا اله الا الله ، وإن لا اله الا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا ، ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب ، ولأجلها أمرت الرسل بالجهاد ، فمن قالها عصم ماله ودمه ، ومن أباها فماله ودمه حلال

وهي مفتاح دعوة الرسل ، وبها كلم الله موسى كفاحا(١) وفي مسند البزار وغيره عن عياض بن حمار الانصار عن النبي ﷺ قال « ان لا اله الا الله كلمة حق على كريم ولها من الله مكان »

وهي كلمة جمعت وشركت . فمن قالها صادقا أدخله الله الجنة ، ومن قالها كاذبا احرزت ماله وحقنت دمه ولقي الله فيحاسبه

وهي مفتاح الجنة وهي ثمن الجنة كما تقدم قاله الحسن ، وجاء مرفوعا من وجوه ضعيفة ، ومن كانت آخر كلامه دخل الجنة ، وهي

---

(١) أي بغير واسطة ولا حجاب

نجاة من النار، وسمع النبي ﷺ مؤذنا يقول اشهد ان لااله الا الله فقال «خرج من النار» خرجه مسلم

وهي توجب المغفرة. في المسند عن شداد بن اوس وعبادة بن الصامت ان النبي ﷺ قال لاصحابه يوما «ارفعوا ايديكم وقولوا لااله الا الله» فرفعنا ايدينا ساعة ثم وضع رسول الله ﷺ يده ثم قال «الحمد لله اللهم بعثتني بهذه الكلمة وامرتني بها ووعدتني الجنة عليها وانك لاتخلف الميعاد - ثم قال - ابشروا فان الله قد غفر لكم» (١)

وهي احسن الحسنات قال ابو ذر قلت : يا رسول الله علمني عملا يقربني من الجنة ويباعدني من النار، فقال «اذا عملت سيئة فاعمل حسنة فانها عشر أمثالها» قلت : يارسول الله، لااله الا الله من الحسنات ؟ قال «هي احسن الحسنات وهي تمحو الذنوب والخطايا» وفي سنن ابن ماجه عن ام هانيء عن النبي ﷺ قال «لا إله الا الله لاتترك ذنبا ولا يسبقها عمل»

رؤي بعض السلف بعد موته في المنام فسئل عن حاله فقال ما ابقت لااله الا الله شيئا

وهي تجدد مادرس من الايمان في القلب، وفي المسند ان النبي ﷺ قال لاصحابه «جددوا ايمانكم» قالوا كيف نجدد ايماننا يارسول الله ؟ قال «قولوا لاإله الا الله»

---

(١) هذا حديث متكلم فيه بالضعف الشديد

وهي التي لا يعدلها شيء في الوزن فلو وزنت بالسموات والارض لرجحت بهن، كما في المسند عن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ «ان نوحا عليه السلام قال لابنه عند موته : آمرك بلا إله الا الله فان السموات والارضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله لا الله في كفة رجحت بهن لا إله الا الله، ولو ان السموات السبع والارضين السبع كن حلقة مبهمة فصمتهن لا إله الا الله » وفيه ايضاً عن عبد الله ابن عمرو عن النبي ﷺ «ان موسى عليه السلام قال يارب علمني شيئا اذكرك وادعوك به ، قال ياموسى قل لا إله الا الله، فقال يارب، كل عبادك يقولون هذا ، قال قل لا إله لا الله ، فقال لا إله الا انت ، انما اريد شيئا تخصني به، قال ياموسى لو ان السموات السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفة ولا إله الا الله في كفة مالت بهن لا إله الا الله »

وكذلك ترجح بصحائف الذنوب كما في حديث السجلات والبطاقة ، وقد اخرجه احمد والنسائي والترمذي ايضا من حديث عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ

وهي التي تخرق الحجب كلها حتى تصل الى الله عز وجل ، وفي الترمذي عن عبدالله ابن عمرو عن النبي ﷺ قال «لا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل اليه» وفيه ايضا عن ابي هريرة عن النبي ﷺ «ماقال عبد لا اله الا الله مخلصا الا فتحت له ابواب السماء حتى

تفضي الى العرش ما اجتنبت الكبائر » ويروى عن عباس مرفوعا، « مامن شيء الا بينه وبين الله حجاب الاقول لا اله الاالله كما ان شفتيك لاتحجبها كذلك لايحجبها شيء حتى تنتهي الى الله عز وجل » . وقال ابو امامة من عبد يهلل تهليلة فينهنهها (١) شيء دون العرش

وهي التي ينظر الله إلى قائلها ويجيب دعاءه، خرج النسائي في كتاب اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ « من قال لا إله الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، مخلصا بها روحه، مصدقا بها لسانه، الا فتق الله له السماء فتقا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الارض، وحق لعبد نظر الله اليه أن يعطيه سؤاله »

وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها كما خرج النسائي والترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي ﷺ قال « اذا قال العبد لا اله الا الله والله أكبر، صدقه ربه وقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال لاإله الا الله وحده، يقول الله لاإله الا أنا وحدي، واذا قال لا إله الا الله وحده لاشريك له، قال لا إله الا أنا وحدي لاشريك لي، واذا قل لا اله الا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد. قال الله لا إله الا أنا لي الملك ولي الحمد »

---

(١) في النهاية : في حديث وائل « لقد ابتدرها اثنا عشر ملكا فما نهنهها شيء دون العرش » اي ما منعها وكفها عن الوصول اليه اهـ

واذا قال لا إله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله ، قال الله لا إله الا أنا لا حول ولا قوة الا بي ، وكان يقول « من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار »

وهي أفضل ماقاله النبيون كما ورد ذلك في دعاء يوم عرفة . وهي أفضل الذكر كما في حديث جابر المرفوع « أفضل الذكر لا إله الا الله »

وعن ابن عباس قال: أحب كلمة الى الله «لا اله الا الله » لا يقبل الله عملا الا بها وهي أفضل الاعمال وأكثرها تضعيفا ، وتعدل عتق الرقاب ، وتكون حرزاً من الشيطان كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به ، الا رجل عمل أكثر منه يوم ذلك » وفيهما أيضا عن أبي أيوب عن النبي ﷺ « من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل »

وفي الترمذي عن عمر مرفوعا « من قالها اذا دخل السوق حتى يمسي - وزاد فيها - يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف

الف سيئة ، ورفع له الف الف درجة — وفي رواية — وبني له بيتا في الجنة » (١)

ومن فضائلها انها أمان من وحشة القبر وهول المحشر ، كما في المسند وغيره عن النبي ﷺ قال « ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم، وكأني بأهل لا اله الا الله قد قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » وفي حديث مرسل من رواية علي كرم الله وجهه « من قال لا اله الا الله الملك الحق المبين، كل يوم مائة مرة ، كان له أمان من الفقر، وأنس من وحشة القبر ، واستجلب به الغنى ، واستقرع به باب الجنة » وهي شعار المؤمنين اذا قاموا من قبورهم .

قال النضر بن عربي : بلغني ان الناس اذا قاموا من قبرهم كان شعارهم لا اله الا الله وقد خرج الطبراني مرفوعا « ان شعار هذه الامة على الصراط لا اله الا أنت »

ومن فضائلها انها تفتح لقائلها ابواب الجنة الثمانية يدخل من

---

(١) رواه الترمذي من طريق أزهر بن سنان وهو ضعيف وأنكروه عليه وضعفه به علي بن المديني جداً . ومن طريق عمرو بن دينار البصري قهرمان آل الزبير وهو ضعيف يروي المنكرات عن الثقات بل يروي الموضوعات أيضا وقد أنكروه عليه . ومثل هذه المبالغة في الثواب الكثير على العمل اليسير من علامات وضع الحديث

ايها شاء كما في حديث عمر عن النبي ﷺ فيمن اتى بالشهادتين بعد الوضوء . وقد خرجه مسلم ، وفي الصحيحين عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ « من قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله ، وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، وان الجنة حق والنار حق ، وان الله يبعث من في القبور ، فتحت له ثمانية ابواب الجنة يدخل من أيها شاء » وفي حديث عبد الرحمن ابن سمرة عن النبي ﷺ في قصة منامه الطويل وفيه « رأيت رجلا من أمتي انتهى الى ابواب الجنة فاغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة ان لا اله الا الله ففتحت له الابواب وادخلته الجنة »

ومن فضائلها ان اهلها وان دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فانهم لابد ان يخرجوا منها وفي الصحيحين عن انس عن النبي ﷺ « يقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله » وخرج الطبراني عن انس عن النبي ﷺ قال « ان اناسا من اهل لا اله الا الله يدخلون النار بذنوبهم ، فيقول لهم اهل اللات والعزى ما اغنى عنكم قول لا اله الا الله فيغضب الله لهم فيخرجهم من النار ويدخلهم الجنة » ومن كان في سخطه محسنا فكيف يكون اذا ما رضي ؟ لا يسوي بين من وحده وان قصر في حقوق توحيده . وبين من اشرك به ،

قال بعض السلف : كان ابراهيم عليه السلام يقول في دعائه « اللهم لاتشرك من كان يشرك بك بمن كان لايشرك بك. وكان بعض السلف يقول في دعائه : اللهم انك قلت عن اهل النار انهم أقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت، ونحن نقسم بالله جهد ايماننا ليبعثن الله من يموت، اللهم لا تجمع بين اهل القسمين في دار واحدة

كان ابو سليمان الداراني يقول: ان طالبني ببخلي طالبته بجوده، وان طالبني بذنوبي طالبته بعفوه، وان ادخلني النار اخبرت اهل النار اني كنت احبه ، ما اطيب وصله وما اعذبه ، ما اثقل هجره وما اصعبه ، في السخط والرضى فما أهيبه ، القلب يحبه وان عذبه . انتهى كلام الحافظ ابن رجب ملخصا

فتأمل رحمك الله قوله فتحققه بقول لا إله إلا الله ان لا يأله القلب غير الله الى آخره . وقوله وتحققه بأن محمداً رسول الله أن لا يعبد الله بغير ماشرعه على لسان محمد ﷺ الخ(١) وقوله : وتحقيق

---

(١) ما ذكره الحافظ من معنى الشهادتين مجمع عليه وقد نقض المبتدعة القاعدتين كلتيهما باسم الاسلام فهم يعبدون غير الله بدعاء الموتى والاستغاثة بهم في الشدائد وكل ما يعجزون عن نيله بكسبهم وينذرون لهم وهذا هدم لقاعدة أن لا إله إلا الله — ويعبدون الله بغير ماشرعه على لسان خاتم النبيين من الاحزاب وغيرها مما وضعه لهم شيوخ الطريق فآثروها على التعبد بالقرآن والادعية والاذكار المأثورة، وهذا هدم لقاعدة أن محمداً رسول الله «ص»

هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد لا إله إلا الله يقتضي أنه لا إله غير الله الي آخره . وقوله : وقد ورد اطلاق الاله على الهوى المتبع الخ . وقوله: قول لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب سواه الخ. وقوله : ومن هنا يعلم أنه لا يتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا شهادة أن محمداً رسول الله، الى آخره، وهذه من متممات لا إله إلا الله وغير ذلك مما يتعلق بلا إله إلا لله، فانه إنما يبرز بتأمله لأن له تعلقا بما نحن بصدده والله أعلم

فهذا ما فتح الله به ويسره من فضله من الكلام على عشرة الافصاص ، على كلمة الاخلاص ، جمعه ولخصه فقير ربه الملتجيء الي عفوه ومغفرته، سعيد بن حجي الحنبلي النجدي (قدس الله روحه ونور ضريحه آمين)

انتهى

طبع هذا عن نسخة حسنة الخط ، قليلة التحريف والغلط ، أخذها الاستاذ الشيخ محمد حامد الفقي المصري ، من العلامة الشهير الشيخ عبد الله بن بليهد النجدي، وقد كتب ناسخها في آخرها مانصه

وافق الفراغ من كتابة هذه النسخة صبيحة الجمعة في يوم تسع وعشرين من ربيع الأول من شهور سنة ١٢٩٩ الف ومايتين وتسع وتسعين على يد المفتقر الى كرم الله صالح بن سالم بن محسن ابن شيبان غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجمع المسلمين آمين

ويلي هذا الرسالة الآتية للمؤلف

حكم التزام مذهب معين

(والانتقال من مذهب الى آخر)

رسالة من الشيخ سعيد بن حجي الحنبلي النجدي، الى الشيخ محمد بن احمد الحفظي الشافعي التهامي - هي جواب سؤال

(السؤال) ماقول العلماء رحمهم الله فيمن التزم مذهباً . هل له الانتقال عنه الى غيره أم لا ؟

(الجواب) قال شيخ الاسلام احمد بن تيمية في الفتاوي المصرية :

واذا كان الرجل متبعاً لابي حنيفة أو لمالك أو الشافعي أو احمد ورأى في بعض المسائل أن مذهب غيره أقوى فاتبعه كان قد أحسن في ذلك ولم يقدح ذلك في دينه ولا عدالته بلا نزاع ، بل هذا أولى بالحق وأحب الى الله ورسوله ممن يتعصب لواحد معين غير النبي ﷺ كمن يتعصب لابي حنيفة أو لمالك أو الشافعي أو أحمد ويرى أن قول هذا المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه دون الامام الذي خالفه. فمن فعل هذا كان جاهلا بل قد يكون كافرا . انتهى

وقال في الاقناع وشرحه : ولزوم التمذهب بمذهب وامتناع الانتقال الى غيره ، الاشهر عدمه ، قال الشيخ تقي الدين بن تيمية : العامي هل عليه أن يلتزم مذهبا معيناً يأخذ بعزائمه ورخصه ؟ فيه وجهان لأصحاب أحمد ، وهما وجهان لاصحاب الشافعي، والجمهور من

هؤلاء وهؤلاء لا يوجبون ذلك ، والذين يوجبون يقولون اذا التزمه لم يكن له أن يخرج عنه مادام ملتزماً له ، أو مالم يتبين له أن غيره أولى بالالتزام منه

ولا ريب أن التزام المذاهب والخروج عنها ان كان لغير أمر ديني ، مثل أن يلتمس مذهباً لحصول غرض دنيوي من مال أو جاه أو نحو ذلك فهذا مما لا يحمد عليه بل يذم عليه في نفس الامر ، ولو كان ما انتقل اليه خيرا مما انتقل عنه ، وهو بمنزلة من يسلم لا يسلم الا لغرض دنيوي ، والمهاجر من مكة الى المدينة لامرأة يتزوجها أو دنيا يصيبها ، قال واما ان كان انتقاله من مذهب الى مذهب لامر ديني فهو مثاب على ذلك ، بل واجب على كل واحد اذا تبين له حكم الله ورسوله في امر ان لا يعدل عنه ولا يتبع احدا في مخالفة الله ورسوله فان الله فرض طاعة رسوله على كل احد في كل حال انتهى

وفي الرعاية : من التزم مذهبا انكر عليه مخالفته بلا دليل ولا تقليد سائغ ولا عذر . ومراده بقوله بلا دليل اذا كان من اهل الاجتهاد(١) وقوله ولا تقليد سائغ اي لعالم افتاه اذا لم يكن اهلا للاجتهاد ، وقوله ولا عذر اي يبيح له ما فعله ، فينكر عليه لانه يكون متبعا لهواه

وقال في موضع آخر : يلزم كل مقلد ان يلتزم مذهبا معين في

« ١ » يدخل في المراد من الاجتهاد هنا ما كان في المسألة التي خالف فيها المذهب الذي هو ملتزم له فلا يشترط في مخالفته فيها بالدليل الاجتهاد المطلق في كل ابواب الشرع .

الاشهر ولا يقلد غيره ، وقيل بلى وقيل لضرورة ، انتهى كلام صاحب الاقناع وشرحه بلفظه

وقال في الانصاف في (كتاب القضاء) وقال الشيخ تقي الدين: من أوجب تقليد امام بعينه استتيب فان تاب والا قتل (١) وإن قال «ينبغي» كان جاهلا ضالا. ومن كان متبعا لامام فخالفه لقوة الدليل أو لكون أحدهما أعلم أو أتقى فقد أحسن ولم يقدح في عدالته بلانزاع ، وقال في هذه الحال يجوز تقليد من اتصف بذلك عند أئمة الاسلام ، وقال بل يجب انتهى

ومن قول الشافعي وقواعده إذا صح الحديث فهو مذهبي ـ وفي لفظ ـ فاضربوا بقولي الحائط ـ وفي رواية عنه ـ إذا رأيتم عن النبي ﷺ الثابت فاضربوا على قولي وارجعوا إلى الحديث انتهى نقلته من كتاب الآداب

فقد علم السائل أن من كان متبعا مذهبا من المذاهب الاربعة ورأى الحق مع غيره فاتبعه انه محسن ، ولا يقدح في عدالته ـ لاسيما ان كان مع الغير نص أو اجماع أو قول صحابي بشرطه أو جمهور العلماء والله أعلم ،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه وسلم

﴿ تمت الرسالة ﴾

---

(١) أي لان هذا ... حو
من خصائصه بنص ... ،
مالم يأذن به الله ...

فهرس

رسالة الكلام المنتقى

مما يتعلق بكلمة التقوى

صفحة